الرجاء

لقد جاءَت رسالة الله سبحانه وتعالى إِلى خلقه، ونزل وحيه إِلى عباده من كماله وعظمته ورحمته، ما يطبهم ويصلح شأْنهم، ويرتقى بهم إِلى ما فيه خيرهم جامعا للفرائض، مبينا للحدود، موضحا للمحارم، مشتملا على ما يحيط بذلك من الأَوامر والنواهى، متوخيا من الأَساليب أَقومها فى تربية الناس، ومن المناهج أَقواها فى إِصلاحهم.

ولقد كان الترغيب والترهيب من أَبرز ما عالج به الإِسلام شطط الإِنسان وجموحه وتمرده على الحقو وما يدور فى فلك ذلك من معصية وانحراف.

الأَمر الذى يؤدى فطريا إِلى أَن تتحرك نفس الانسان من خمود، وأَن تستيقظ من سبات، وإِن تختلط فيها بواعث الرغبة بعوامل الرهبة وأَن تمتزج فيها دوافع الخوف، وموجبات الرجاء.

والرجاءُ فى اللغة هو الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأَمل.

والرجاءُ فى الاصطلاح: تعلق القلب بحصوله محبوب فى المستقبل، وقيل: هو توقع الخير ممن بيده الخبر. والرجاءُ: الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى والارتياح لمطالعة كرمه. وهو من أَجل منازل السالكين وأعلاها وأَشرفها.

وفى الحديث الصحيح يقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله: «ابن آدم إِنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أُبالى»[1]. يقول الفيروزابادى فى كتابه (بصائر ذوى التمييز):

الرجاء عبودية وتعلق بالله من حيث اسمه البر المحسن فذلك التعبد والتعلق بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذى أَوجب للعبد الرجاء من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى.

---

(١) التاج الجامع للأصول: ج ٥ ص ١٦٦، ١٦٧.

فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته على غضبه.

ولولا زوح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال فى بحر الإرادات.

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسرا وتمزقا
وكذلك لولا برده لحرارة الأ ... كباد ذابت بالحجاب تحرقا
أبكون قط حليف حب لا يرى ... برجائه لحبيبه متعلقا
أم كلما قويت محبته له ... قوى الرجاءُ فزاد فيه تشوقا
لولا الرجاءُ يحدو المطى لما سرت ... بحمولها لديارهم ترجو اللقا

فالرجاءُ يحفظ على النفس بسطها وتفتحها تطلعها إلى الكمال، وتدرجها فيه واتطلاقها فى أُفق أعلى تحلق فيه بكل أملها فى الله وأمنيتها عنده ورجائها إياه، لا تقيدها عقدة، ولا يحسبها ذنب، ولا يوقف سعيها بأْس، ولا يجمد حركتها قنوط ولا يقطع الطريق عليها إلى الله سعار المادة، ولا تعثر الفطرة، ولا يضيق عليها الخنادق أبدا مهما كانت قبضة المعصية أو ضراوة الخطأ أو شراسة الإصم.

والإيمان لا يزكو فى النفس، ولا يستقيم المؤْمن بعبادته على الجادة، إلا إذا لَفَّة الخوف من ربه، وغمره الرجاء فيه. وأيقن تماما أن الجنة والنار كليهما أقرب إليه من أى شىءٍ.

ولو يعلم الناس ما لدى الله من العدل والعقوبة، ما أقدم على مصيته أحد، ولو يعلمون ما لدى الله من الفضل والمثوبة ما قنط من رحمته أحد.

ياصاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأي يقطع أحيانا بصاحبه	لاتيأسن فإن الكافى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فثق بالله وارض به	إن الذى يكشف البلوى هو الله
والله ما لك غير الله من أحد	فحسبك الله فى كل لك الله

فالله سبحانه وتعالى لم يطمعنا فى شيءٍ قدر ما أطمعنا فى رحمته ولم يحذرنا قدر ما حذرنا من عقابه، ولم يسرع بشيءٍ قدر إسراعه بقبوله ورضوانه، وقربة لأهل دعائه ورجائه، والأمل فيه والقرب منه.

والإيمان لا يكتمل ، والعبادة لا تستقيم، وإلا إذا حلق المؤمن فى دينه وأعماله بجناحى الخوف والرجاء. من حيث يدفعه الخوف إلى اجتناب التفريط والبعد عن القصور، والتراخى، وضبط النفس على حسن العمل، وإتقان أدائه والإخلاص فيه، ومراقبة الله فى جليله ودقيقه.

والإنسان لا يستوى يقينه ولا يكتمل إيمانه، ولايصلح عمله، ولا تستقيم عبادته ولا تزكو فطرته، إلا بخوفه من ربه ورجائه فيه، ولا يتزن الإنسان ولاتستقيم مسيرته فى الدنيا، ولا يصلح بين يدى ربه ومصيره يوم القيامه، إلا إذا كانت حياته مزيجا من الخوف والرجاء، وأمشاجا من رغبته فى ربه ورهبته منه لذا جاءَ الإسلام يدعونا إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى والرجاء فيه. الخوف الذى نستشعر فيه عظمة الله وجلاله وقيوميته ومواقبته وخشيته والشعور الموصول بهيبته إلى غير ذلك مما يقود إلى تعظيم محارم الله، واحترام حدوده، والتطبيق الكامل لأوامره، والانتهاء التام عن نواهيه.

والرجاءُ الذى يفتح للمؤمن بالله باب الأمل والتطلع إلى ما لدى الله من فضل وما أعده للعاملين المؤمنين من مثوبة، وما وعدهم به من أجر مضاعف ونعيم مزيد ثم ما يمنحه هذا الرجاءُ للإنسان من نعمة التعلق بالله، واللجوء إليه:

أن يقبله إذا عثر، وأن ينهضه إذا كبا، وأن يمد إليه يد العون بحبل الإنقاذ والنجدة ساعة الضيق ولحظات الحرج.

فالرجاءُ والخوف جناحان بهما يطير المؤْمنون بالله سبحانه وتعالى إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع المقربون كل عقبة كئود.

والمسلمون فى حاجة إلى الإدراك الواعى بعمق مفهوم الرجاء فى الرسالة الإسلامية ولا رجاءَ للمسلمين فى شرق ولا غرب ولا فى مذاهب دبجها سماسرة الفكر البشرى.

فالرجاء كل الرجاء فى الله سبحانه وتعالى ، وفى رسالة الإسلام التى جاءنا بها الرسول الصادق الأمين. ويقول عليه الصلاة والسلام «كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاءَ به نبيهم إليهم إلى ما جاءَ به غيره إلى غيرهم».

ولعلنا ندرك فى وضح أن الله سبحانه وتعالى ربط المسلمين برسالة الإسلام وبالاقتداء بصاحب الرسالة الكبرى محمد عليه الصلاة والسلام، حتى لا يضل المسلمون الطريق السليم ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾[1].

ومن هنا كان كل فرد من أفراد الأُمة الإسلامية الراجين الله سبحانه وتعالى صورة حية لحياة الرسول الصادق الأمين، بيانا، وجهادا ، وعبادة، وثباتا وإقداما، وحزما.

ولو يعلم الناس ما لدى الله تعالى من فضل ورحمة لأهل خشيته والخوف منه والإجلال له، وأصحاب القرب منه، وللجوء إليه، والرجاء فيه، لأوغلوا فى ذلك، وألحنوا فيه، وأكثروا من طمعهم فى الله.

ويوم أن كان المسلمون يرجون الله سبحانه وتعالى وحده كانوا سادة الدنيا بحق وكان العدو يتهيب بأسهم ويخشى سلطانهم وكان الشرق والغرب يعمل لهم ألف حساب.

---

(١) الأحزاب: ٢١